

النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية (فيجوتسكي) في مناهج لتعليم اللغة (الجيل الثاني)

د. صالح غيلوس

قسم اللغة العربية و آدابها- كلية الآداب واللغات

جامعة محمد بوضياف – المسيلة(الجزائر)

Sghilous12@yahoo.fr

الملخص:

Résumé :

La Théorie structurelle socioculturelle (Lev Vygotsky) se concentre sur l'aspect social du processus d'apprentissage de la langue, elle voit que l'apprenant, selon les méthodes de la deuxième génération de l'enseignement de l'arabe en Algérie, apprend à travers l'interaction sociale positive et l'entourage d'apprentissage comment s'exprimer . Cette théorie considère la culture comme le principal déterminant de l'apprenant à la lumière du développement des phénomènes sociaux, ou de certains éléments de la conscience dans les contextes sociaux. Pour cela, Cet article tente de répondre a la problématique suivante: quels sont les déterminants de l'apprentissage social à la lumière de la théorie de Vygotsky ?

Mots-clés : Interaction. Contexte social. Concepts linguistiques. Soutien. Évaluation. Croissance linguistique. Communication.

النظرية البنائية الاجتماعية الثقافية (ليف فيجوتسكي). تركز على الجانب الاجتماعي في عملية تعلم اللغة. وترى أنّ المتعلم يكتسبها من خلال التفاعل الاجتماعي الايجابي والوسط الذي يعيش فيه، حيث تعتبر الثقافة المحدد الأساسي لنمو المنطقة القريبة والمركزية (ZPD). لدى المتعلم في ظل تطوّر الظواهر الاجتماعية أو بعض العناصر منالوعي في سياقات اجتماعية حقيقية أو شبه حقيقية. ومنه يمكن طرح التساؤل التالي: ما محددات التعلم الاجتماعي في ضوء نظرية فيجوتسكي؟

الكلمات المفتاحية: التفاعل، السياق الاجتماعي، المفاهيم اللغوية، الدعم، التقويم، النمو اللغوي، التواصل.

إن تعلم اللغة في المدرسة الجزائرية في ضوء مناهج الجيل الثاني، يعدّ كفاءة عرضية، فهي لغة المعرفة والتعلم فيكل المراحل التعليمية، والتحكم فيها يعني التحكم في جميع الأنشطة الأخرى التي تصب في حياضها، حيث في تمكين المتعلم من بناء شخصيته المتفردة، وذلك من خلال تنمية كفاءته المعرفية والأدائية والاجتماعية في مجال الفكر والثقافة، والمنهجيات، والتواصل الاجتماعي والفردية. ووفق النموذج التربوي الذي يبني المقاربة البنائية الاجتماعية، والتي تعدّ في صدارة الاستراتيجيات. في ظل تصور شامل وتنازلي للمناهج ضمن الانسجام العمودي والأفقي للمناهج لتعليم اللغة.

وهذه النظرية المتبناة في مناهج الجيل الثاني في الجزائر تنظر إلى أنظمة المعرفة على أنّها تركيبات ذهنية إنسانية، ساهمت فيها مؤثرات وقيود كثيرة، كسياسات الحكم و الايديولوجيات السائدة في المجتمع و المفاهيم القيمية، التي يحملها أفرادا يصنعون المعارف، وهم بدورهم يخضعون إلى قوانين وضعت أساسا لحماية مصالحهم الذاتية للحفاظ على المكانة الاجتماعية المكتسبة. ومادام الفرد اجتماعي بطبعه محتوم عليه العيش داخل المجموعة الاجتماعية، يتفاعل ويتواصل مع أفرادها يوميا فيؤثر ويتأثر وفق العرف الاجتماعي.

وقد جاءت هذه النظرية نتيجة لانتقادات وجهت للبناءية المعرفية لـ (جون بياجي John Biagie)، التي أغفلت بدورها عنصرا مهما؛ ألا وهو الجانب الاجتماعي الثقافي والبيئي في عملية تعلم واكتساب اللغة¹، فهي تركز على تعلم المفاهيم الأساسية التي تحمل رؤيتها وأفكارها كـ: (التوقع وتأثير النماذج، والأهداف على الفعل التعليمي / التعليمي). وعليه فإن التفاعل الاجتماعي الثقافي الإيجابي يعدّ من بين العوامل السلوكية والشخصية الداخلية للمتعلم، بالإضافة إلى المؤثرات البيئية التي تتحد معهم لتشكيل سلسلة التفاعلات التبادلية النفعية.

ولقد نوه فيجوتسكي (VygotskyLEV)²، في دراسته لأطفال الصم البكم بأهمية النمو الداخلي، الذي يحدث بشكل خاص من البيئة نحو الداخل، فالقدرات تنمو وتنضج تدريجيا من خلال التفاعل الاجتماعي الثقافي. يستثمرها الطفل في حل ما يعترضه من مشاكل يومية تعيق سيرورة تعلمه للغة، وهذه العملية الدقيقة تبدأ فعليا من الاحتكاك بالبيئة الخارجية إلى داخل عقل المتعلم، ومنها تنشأ جذور العمليات الداخلية والذاتية لديه، فالمتعلم يشاهد دينامية التواصل اليومي في البيت، وفي الشارع والمدرسة، ويشارك فيه بإيجابية. وهذا في حقيقة الأمر يؤثر بصفة حاسمة في نموهم العقلي، فالمتعلم " لا يعتمد على الأثر الاجتماعي والبيئي فقط، بل على النضج العقلي"³.

فلو أخذنا طفلين في مرحلة نمائية واحدة، وجعلنا أحدهما يتفاعل مع أقرانه مع اليافعين، فإنه من دون شك يتحصل على دينامية الحديث والمناقشة، كما يؤدي أدورا اجتماعية أكثر مما يؤديها الطفل الآخر، الذي لم يتعرض للتفاعل الاجتماعي المماثل، ولنا في قصة حي بن يقضان أو فتى الغابة (ما وكلي)؛ ومعنى هذا أنّ الإدراك البشري يقوم على استخدام الشيفرة اللغوية نفسها في الحديث (الخارجي/ الداخلي)، وترجم (الشفرة) بدرجة ما من النجاح⁴. ومنه فالفاعل الإيجابي يتم بين الوظيفة الداخلية والخارجية.

أما أثناء تفسير المتعلم للظاهرة اللغوية نجده يركز بشدة على (الحديث المتمركز حول الذات). نظرا لضرورته في اكتساب أنماط السلوك اللغوي الاجتماعي، هذا الأخير يجمع بين " التفكير واللغة و بين التخيلي والتعبير اللغوي "⁵. وهنا نجد فيجوتسكي يطرح أسئلة أربع شغلت باله وهي:⁶

- كيف تسير اللغة عمليات التفكير؟
- كيف تضبط اللغة الاجتماعية النشاط العقلي الداخلي؟
- كيف تترجم اللغة الاجتماعية نتاج عمليات تفكيرنا إلى صيغة يمكن للآخرين فهمها؟
- كيف يمكن أن نحل شفرة لغة الآخرين حتى نصل إلى أفكارهم ؟

وللإجابة عن الأسئلة المطروحة، ركز فيجوتسكي في دراسته على نمو المتعلم، وتفاعله الإيجابي مع المحيط الاجتماعي، وهذا الأخير يعدّ ركيزة أساسية ثابتة، فهو يؤثر بشكل لافت في " التفسير ذاته، وله دور فعال في تشكيل أليات التفسير"⁷. وما ينتج عنه من قيم وعادات واتجاهات.⁸ وبشكل عام التفاعل الاجتماعي يعدّ سلوكا ظاهرا (overt). من المؤثرات والاستجابات، نظرا لاحتوائه التعبير اللفظي وغير اللفظي (الحركات والايماءات). و يعدّ أيضا سلوكا باطنا (covert). يتضمن العمليات العقلية الأساسية كـ: (الإدراك والتذكر والتفكير، والتخييل وجميع العمليات النفسية).⁹ بالإضافة إلى كونه أداة تنقل الخبرة الاجتماعية من البيئة إلى المتعلم من (الخارج نحو الداخل).

كما يشكل المناخ العام لبيئة الفصل الدراسي وسيطا للفكر في تصوّر فيجوتسكي، فالكلام عند المتعلم يكون اجتماعيا في البداية، ويتحول فيما بعد إلى الكلام المتمركز حول الذات، فتدقق التفكير لايصاحبه ظهور متزامن للكلام، وذلك لعدم تماثلهما (التفكير- الكلام). فلا يوجد تطابقا بين وحدات التفكير ووحدات الكلام. أنّ التواصل الاجتماعي في الصف الدراسي أو في الشارع، ينقل الأفكار والمعارف والمشاعرين المتعلمين والأساتذة والأقران، وقد يكون أحيانا ذاتيا (مونولوج).

فقد يبني التواصل الاجتماعي على الموافقة أو المعارضة أو الاختلاف¹⁰. وخلال هذه العملية يقوم الطرفان بتهيئة نفسيهما لتلقي الكلام وفق حركته وارتداداته، وهما كلاهما كرة المضرب اللذين يتنقل أحدهما - متلقي الكرة - ويتحضر وفق ما يراه من حركة الأخر مطلق الكرة وبحسب الضربة ذاتها¹¹.

ويورد فيجوتسكي مثالا عن عدم الاتفاق بين المشاركين في العملية التواصلية، " انحنى أمام القاضي الأصم رجلان يعانين من الصمم، وبكى أحدهم قائلا: سحب بقرتي بعيدا، قال الآخر رداً على قوله: معذرة هل تكرر ما قلت؟ لقد كانت هذه المراعي أرض أبي في الماضي، يقرر القاضي قائلا: إن عراككما لهو عارٌ واللوم لا يقع على أي منكما، لكنه يقع على الفتاة"¹²، ومعنى هذا أنّ الاشتراك في العملية التواصلية له شروطه، فكل المتعلمين شركاء في الحديث وفي المعرفة اللغوية وغير اللغوية، فلو أنّ متعلما أراد الحديث حتى لو كان بنية الخداع، فيجب أن يأخذ بعين الاعتبار استمرار أثر كلماته على من يستمع إليه، بالإضافة إلى أهمية التفكير، وأنّ (المرسل والمتلقي) تحكمهما ظروف مستقلة تحدد الاستجابة اللغوية لكل منهما، وما نود الإشارة إليه، أن إصدار الكلام وتفسيره، يعدُّ صورة منعكسة للأخر¹³.

بيد أن مستويات التفاعل الاجتماعي تتبدى في المتعلم نفسه، الذي ينفعل للمتوقعات الثقافية بطريقته الخاصة ويعمل على تفسيرها، حسب ما يراه مناسبا للسياقات الاجتماعية، والمشاكل التي تعترضه، وهنا تدخل الغايات والتطلعات والمثل والقيم في بناء شخصيته النامية من خلال ثنائية (الأخذ والعطاء)¹⁴، فكلما ازداد الاحتكاك بين الأطراف إزداد التماسك الاجتماعي، إذ يعمل المتعلم على تحويل العلاقات الاجتماعية إلى وظائف نفسية، تؤثر إيجابا في سلوكاته اللغوية، وهي تتجلى في سرعة الاستجابة للتعلم من خلال إشارات سيميائية مبنوثة بين طيات النص، وبذلك يسهم في إعطاء قراءة جديدة للنص.

إن اكتساب اللغة لا يكون إلا بالتفاعل مع الراشدين، تبعا لرؤية العالميين (ساش Sachs) و(جونسون Johnson). ومن خلال التجربة التي قاما بها وهي: " أنّ طفلا يسمع لأبوين أبكمين ويتعرض للتلفزيون أولا كمدخل رئيسي، ويلعب مع الأطفال الآخرين في المناسبات، في عمر الثلاث سنوات وتسعة أشهر. تكون مفرداته اللغوية ضئيلة إلى أقصى حد، فقد تأخر نموه اللغوي بشكل كبير¹⁵. ومما سبق نجد فيجوتسكي يركز بشكل لافت للنظر على التفاعل الاجتماعي في اكتساب المتعلم للمعرفة اللغوية، ويؤكد على تنمية منطقة القرية المركزية (ZPD). بواسطة تدوير المعرفة وبأسلوب مشاهدة الآخرين: (الحديث الجانبي، الحوار، القصص، الأفلام...). فيوجد المتعلم بداخله التفاعل المرغوب، ويستطيع فهم ما يدور حوله.

وتمثل منطقة النمو المحتمل (Zone de développement potentiel). المسافة بين مستوى التطوير الفعلي، الذي ينشأ من القيام بمهمة معينة وباستقلالية تامة، وبين مستوى التطوير المحتمل حدوثه¹⁶. فما يقوم المتعلم به اليوم بمساعدة الراشدين، سوف يعمل غدا بمفرده، باعتبار أنّ منطقة النمو القرية المركزية (ZPD) غير ساكنة¹⁷ وكلما تقدم المتعلم في الاكتساب تناقص الدعم، ويمكن أن تنهى هذه المنطقة على مراحل وهي:

* مرحلة المساعدة: يتم في هذه المرحلة الاعتماد على اليافعين: (الأستاذ، الأب، الأم ، الأخ..). الذين يكتسبون خبرة عن الحياة يقدمونها له، وفق عمره وقدراته العقلية وطبيعة المهمة.

* مرحلة الأداء المساعد الذاتي: ينتقل المتعلم من الاعتماد على مساعدة الآخرين الذين يدعمونه ويسندونه، وهذا يدل على نمو قدراته ومهاراته الأدائية تدريجياً.¹⁸

* مرحلة تلقائية الأداء: ينتقل المتعلم إلى محطة ثانية متطورة، يؤدي أداء تلقائياً يمتاز بالتناغم والانسجام، وقد وصفها فيجوتسكي (بثمار التطور Fruits de l'évolution)؛ وهذا يعني (التحجر La contradiction). دلالة على ثبات النمو اللغوي، وبُعدّه عن التغيير بفعل القوى العقلية والاجتماعية.¹⁹

* مرحلة إزالة تلقائية الأداء: تمر عملية تعلم اللغة بالخطوات المتسلسلة نفسها والمنظمة لمنطقة النمو القريبة المركزية (ZPD)، وتتدخل عوامل عديدة في إزالة تلقائية الأداء ومنها:

* طبيعة التفاعل الاجتماعي بين عناصر الفعل التعليمي.

* دور الأدوات النفسية.

* دور التفاعلات الاجتماعية كوسيط لتغيير التفكير اللغوي للمتعلم.

* الدور المثل بين المفاهيم اللغوية اليومية والعلمية.

وفي هذا الإطار يعمل الأستاذ على تنشيط منطقة (النمو المحتمل (الوشيك)). أثناء اكتساب المفاهيم اللغوية الجديدة، ويدفعه إلى التفوق وتجاوز المستوى الحالي للكفاءات المكتسبة في تعلم اللغة، وأن يُقدم المساعدة لمد جسور تفاعلي يوصله إلى المستوى الأعلى لتشكيل فهم لغوي جديد.²⁰

- مميزات الفهم الموسع لمنطقة النمو القريبة المركزية (ZPD). يتضح أن منطقة النمو القريبة المركزية لها مميزات تتصف بها، إذ يمكن أن تنطبق على أي حالة، يكون فيها مشاركة المتعلم في عملية تطوير كفاءة الأداء.

* لا تعدُّ لمنطقة النمو القريبة المركزية (ZPD). خاصية للسياقات المستقلة، فالتجارب لها دور كبير في التطور اللغوي.

* التعلم لا يتطلب أستاذاً، يمكن أن يتعاون المتعلمون في نشاط معين، فكل فرد يساعد الآخرين.

* بعض الأنشطة اللغوية تنتج موضوعات ممارساتية يمكن استعمالها كأداة في نشاطات لاحقة (المسرح، الفن، الخطابة، كتابة النصوص...). فما تم فهمه وعمله فهو موضوعات أدائية (لفظية وكتابية).

* التعلم يتضمن حدوث تغيرات متعددة في إمكانية مساهمة المتعلم في العمل المستقبلي.

* التراكيب الإدراكية من ناحية تنظيمها مع الأدوات النفسية على التوسط بين النشاط الممارس والعالم الاجتماعي الذي يحدث فيه هذا النشاط.

* لا يوجد للتطوير نهاية محددة مسبقاً، بالرغم من زيادة تعقيد التنظيمات المعرفية، فالتغيرات الحادثة تؤدي إلى تنوع النتيجة، التي قد تتغير بشكل جذري، بالإضافة إلى إعادة بناء القيم والممارسات اللغوية.²¹

تتطور المفاهيم اللغوية وفق رؤية المتعلم الخاصة للعالم الخارجي، واكتسابه المفاهيم اللغوية وتعلمها ومراحل تطورها، حيث يُكوّن صورة توفيقية؛ أي أنّها وبطريقة ما تتجمع هذه الصور (الأدلة/ المفاهيم). في مزيج واحد يعيها المتعلم ويتمثل من خلالها المعنى.²² ومنه المفاهيم اللغوية لا تظهر عنده فجأة، فهيتنمو وتتطور تدريجياً عبر خمسة مراحل هي:

* مرحلة الأكوام: يكسب المتعلم الأدلة مع بعضها البعض، ويركز بشكل أساسي على الأشياء الواقعة في مجال بصره - لأنه لا يوجد شيء خارج العالم- فكل عمل استكشافي يشغل ذهن المتعلم، فهو يتضمن شكلا من أشكال التصنيف (صوتي، صرفي، معجمي، دلالي). وللارتباطات الأولية أهمية بالغة في نفسه، فهي تتراكم لتكوّن قاعدة من خبرات المفاهيم اللغوية المكتسبة والمكتنزة، وتستثمر هذه الأخيرة عن طريق التداخي الحر، لتكوّن أرضية صلبة ومادة خام لبناء المفاهيم اللغوية الجديدة.

- العقد الترابطية: يقوم المتعلم بتصنيف المفاهيم اللغوية حسب النشاط المدروس (الفاعل، الحال، تواصل (لفظي/ كتابي)).وم ثم يعمل على إيجاد العلاقات ك: أوجه التشابه والتقارب (جزئي / كلي). غير أن " عمليات التصنيف هذه لا تتغير دائما".²³

- مرحلة تكوين المجاميع: يبدأ المتعلم مع كل مرحلة عمرية في تكوين المجموعات المتقابلة أو المتكاملة، ثم يضع الأشياء معا على أساس وجود شبه بينها، أو انتمائها للفئة نفسها (الصفات، الحال، البدل...).أو تؤدي الوظيفة نفسها.²⁴

- مرحلة العقد المتسلسلة: يصنف المفاهيم اللغوية على أساس صفة معينة ثم يشرّد ذهنه إلى صفة أخرى، وهذا في حد ذاته يعدّ تطورا هاما²⁵؛ ويعني هذا أنّ بدأ المتعلم يدرك أنّ للشئ الواحد عددا من الصفات، وكل منها يصلح أساسا للتصنيف.

- مرحلة العقد الانتشارية: يحدث فيها صقل قابلية تعلم اللغة، وتزداد مرونة الممارسة الأدائية، وفيها يلاحظ إبداع المتعلم. فذهنه غير محدود بمعايير الكبار أثناء التصنيف، وهنا ينبغي ينبغي على الاستاذ أن يشجع هذه الاستجابات اللغوية".²⁶

- مرحلة أشباه المفاهيم: سرعان ما ينتقل المتعلم من العقد الانتشارية إلى أشباه المفاهيم اللغوية، فهو يقوم بتكوين تجميعات هذه المفاهيم، فحين يجمع الأسماء أو الأفعال المطلوبة، يدرك العلاقة بينها، بالرغم من عدم قدرته على تحديد القاعدة التي اعتمدها.

- تكوين المفاهيم: يعزز الأستاذ فيها عمل المراحل السابقة، والنتيجة هي تطور طبيعي للاحساس بماهية الأشياء، إذ يعي المتعلم أنّ لكل شيء في هذا العالم خصائص وصفات، وسمات تشاركه فيها أشياء أخرى، وأنّ تلك الأشياء مشابهة، وهذه المرحلة (تكوين المفاهيم). طويلة ومضنية، إلّا أنّها مثيرة وشائقة، ينتقل المتعلم فيها من "التفكير الحسي إلى التفكير المجرد"²⁷

- دور الوسائل التقنية والفنية: أثبت فيجوتسكي في دراساته النظرية والتطبيقية، بأنّ بنية سلوك المتعلم في كل مرحلة جديدة تتغير ليس على صعيد ردة فعله فحسب، بل ردة فعله اعتمادا على وسائل جديدة للسلوك، ومنه فإنّ هناك آلية أساسية لإعادة البناء، هي تتجسد في خلق وتوظيف عدد من الحوافز المصطنعة، وتلعب " دورا مساعدا، وتتيح للمتعلم السيطرة على سلوكه الخاص منذ البداية، دون العمليات الداخلية المعقدة".²⁸

أما الأدوات الثقافية فإنها تأتي كوسيط للبناء المعرفي، وتتمظهر في نظام المحاكاة ك: (المعتقدات والتقاليد، والعلاقات الاجتماعية). فهي تتجمع في صعيد واحد لتشكل الخبرة لدى المتعلم. ولتطوير العمليات العلقية، أنّ المتعلم يتبع يتبع مسارا محددًا وفي مراحل:

* المرحلة الأولى: المتعلم لا يستخدم الأدوات استخداماً منهجياً، بل يحتاج للمساعدة من طرف ذوي الخبرة لحل المشاكل التي تصادفه.

* المرحلة الثانية: يستطيع المتعلم فرض أو إنشاء عمليات بسيطة من خلال تركيزه على تذكر صورة (دال/ مدلول). بواسطة صورة (دال/ مدلول).

* المرحلة الثالثة: يتمكن المتعلم من إنشاء روابط خاصة به بين الأدلة: (دال/ مدلول) التي يريد أن يتذكرها، أو يصنف بعضها.²⁹

* المرحلة الثالثة: يتشرب ذهن المتعلم (الأدلة و المفاهيم اللغوية). حيث يعتمد على قدراته وخبراته من دون اللجوء إلى الأدوات النفسية المساعدة على الأداء. وتُدعمُ السقالات مستويات جديدة من السلوك اللغوي، الذي يظهر تلقائياً.³⁰

-اللغة في نظر فيجوتسك(نظام رمزي) : اللغة كعملية اجتماعية توجه نشاط العقلي، وبها يستطيع المتعلم تذكر الماضي ومباشرة الحاضر، و الحديث عن المستقبل والتخطيط له، وقد بين فيجوتسكي اللحظة الأكثر أهمية في سياق التطور الفكري، حيث يتولد الذكاء العلمي المجرد للأشكال الإنسانية البحتة. فإذا قارنا الخطاب التعليمي بالنشاط العملي، وجدناهما يسيران معاً في شكل خطين متوازيين.

- كلام الأنا/ الخطاب الداخلي: (Discuter intercom). للمتعلم ينمو ويتطور منذ دخوله الصف الدراسي، فهو يتعلم توظيف اللغة واستعمالها ثم يتجذر ليصبح أمراً فطرياً، ويكون ذلك بالتجربة الاجتماعية الثقافية. ولهذا فالحديث الداخلي يلعب دوراً مركزياً في تنظيم الذات، وتوجيهها نحو تحقيق الكفاءة المقصودة.³¹

- التنسيق اللفظي الذاتي: يساعد المتعلم في أداء مهامه، فهو يستخدم الحوار الداخلي مع نفسه بفاعلية واقتدار، ويستذكر ما تلقاه من أحداث ومعلومات ويصنفها، وينسق بينها بشكل أكثر فاعلية. ومثال عن ذلك، قام أحد المعلمين بوضع آلة تصوير في غرفة بها ألعاب، وأدوات تعليمية وأكل...، وأتى بمجموعة متعلمين أعمارهم بين (3-7) أعوام، ثم أعطاهم بعض الأدوات وأمرهم باستعمالها لفترة طويلة، وسيجازي الناجح. وبدأ بمراقبتهم على الشاشة، فلاحظ أن بعض المتعلمين يتحدثون مع أنفسهم واستعملوا الألعاب، بينما الذين لم يتحدثوا ولم يستعملوا الألعاب رسبوا، أما في المرة الثانية علمهم استعمال نماذج متنوعة من الكلمات والعادات، وأدوار تمثيل مناسبة لأعمارهم، وبعد انتهاء التجربة توصل إلى أن الذين استعملوا الحديث الداخلي نجحوا في المهمة.³²

ومما سبق فإن فيجوتسكي يصنف المفاهيم اليومية والعلمية حسب دورها إلى فئتين، تعكس السياق المرتبط بهما، وهما: (المفاهيم اليومية التلقائية، والمفاهيم العلمية غير التلقائية). ولاكتسابها يجب أن يبدأ المتعلم من المفهوم (العلامة) وتحديد مدلولها الاجتماعي لعقد المقارنة بينهما، وحينما يعجز المتعلم، يجب على الأستاذ تقديم الدعم والمساعدة لاكتساب المفاهيم اللغوية اليومية وبالتدرج،³³ لكن المفاهيم اللغوية العلمية، فهي تُبنى بالاتجاه المعكوس من مجرد إلى المحسوس، حسب المصنوفة المفاهيمية، وبأسلوب بنائي معرفي اجتماعي ثقافي، مَعْلَمُهُ من الحياة إلى الحياة.

-استراتيجية السقالات التعليمية: يحدث تعلم اللغة بالتفاعل الاجتماعي بين المتعلم وزملائه بفاعلية أكثر. (فالتلميذ، للتلميذ ألقن). وفق أنماط وسياقات ودعامات مختلفة.³⁴ وتعدُّ استراتيجية السقالات التعليمية إحدى التطبيقات التربوية

للنظرية البنائية الاجتماعية الثقافية، فهي تركز على اكتساب المعرفة وعلى صنع المعنى للظواهر المختلفة، ولها أهمية كبيرة في البناء الاجتماعي للمعرفة، كما تسهم في خلق المنافسة والتحفيز بين المتعلمين داخل الفصل التعليمي. فالمتعلم يستنفر الخبرات السابقة، لبناء خبرات جديدة معتمداً على ذاته، وتقدم له المساعدة كلما دعت الضرورة لذلك.³⁵

-أهداف استراتيجية السقالات التعليمية: تتيح الفرصة للمتعلم لتنمية كفاءاته التعليمية، وتربطها بخبراته المكتسبة بما يلي:

- قدرة الربط بين الأفكار والمفاهيم اللغوية.

- تنمية روح النقد الذاتي.

- الابتكار في استراتيجيات حل المشكلات اللغوية.

- الفهم الجيد وحسن التصرف.

* تبادل الخبرات بين الأكثر خبرة (الأستاذ، الأقران).

* تحديد مدى المساعدة المقدمة من الكبار خلال التفاعل مع المتعلمين عن طريق عملية التشخيص (الكمية/الكيفية).³⁶ وهذه الاستراتيجية تركز بشكل كبير على الدعم المقدم من الأستاذ نحو المتعلم، للأخذ بيده إلى أن يشتد عوده، وهي تشبه إلى حد كبير سنادة البناء، إذ تمثل جسراً بين حدي الفجوة.

- التعلم البنائي الاجتماعي الثقافي عند فيجوتسكي: يحدث التعلم في سياقات ذات معنى، ويمتاز بما يلي:

* المتعلم والمعلم قطبا الرّحى في العملية التعليمية / التعليمية.

* الجو الديمقراطي و الدينامية النشطة.

* ضرورة الاحتكاك بالأقران والبيئية.

* التركيز على (الإجراء) لاكتساب الخبرة،

* يزود الأستاذ المتعلم فيزوده بالنصائح.

* يوجهه إلى طريقة إدارة الحوار المفتوح الناجح.

* إرشاد المتعلم إلى طريقة الأداء الجيدة أثناء الاحتكاك بالوضعية التعليمية.

* اعتماد أسلوب التحليل، حتى يتمكن من فحص الأداء الحالي لبناء الأداء المفترض.

* تتم المساعدة باستعمال سندات ووسائل سمعية بصرية تحفز المتعلم وترشده.

-خطوات التعلم البنائي الاجتماعي الثقافي: يتضمن خمس خطوات وهي:³⁷

* عرض مشكلة التعلم من طرف الأستاذ ذات دلالة.

* احتكاك المتعلم بالمشكلة، والعمل في مجموعات صغيرة.

* فتح الحوار لتوليد الأفكار عن طريق تبادل الأدوار.

* يمارس التعلم بذاته ولذاته، ويتجلى ذلك ويتم في أربعة مراحل هي:

- التنبؤ: يصوغ المتعلم الفرضيات قبل القراءة الفعلية للنص المقروء، لربط المكتسبات السابقة بما يفترض تعلمها. ويمكن الاعتماد على سندات مثل: (العنوان الأصلي للقصة أو القصيدة، العتبات النصية-الغلاف-صورة المؤلف-، قراءة بعض الجمل، قراءة فقرة أو فقرات، أو نهاية فصل من الرواية، (العناوين الفرعية...)). وتكون هذه المرحلة لتهيئة ذهن لعملية نقد المقروء.

-التلخيص: يستنتج المتعلم الأفكار ثم يفحصها بالتركيز على الحقائق، والمعارف والخبرات ثم مناقشها، وحذف غير الضروري منها، أو إعادة صياغتها.

-التساؤل: وضع أسئلة مناسبة للأفكار المتفق عليها، مما يساعد على تحليل المعرفة، بـ:(لماذا؟ / كيف؟ / هل يجب؟ / هل كان؟ / هل سوف؟ ...) مع ضرورة التفكير بصوت عال.

* التصور الذهني:³⁸ العودة إلى الذهن بأن يعطي كل متعلم تصوّره، لرسم صورة عن انطباعه تحضيراً للعمل النقدي.
* التوضيح: يتم فيه تحديد نقاط الصعوبة (المفاهيم، المصطلحات، التعبيرات). ثم العمل على وضع استراتيجية بديلة لتجاوز هذه الصعوبة.

- النموذج التوليدي **Modèle d'apprentissage génératif**: يكون في أربعة مراحل تعليمية وهي: (مرحلة التمهيد، مرحلة التركيز، مرحلة التحدي، مرحلة التطبيق).

* مرحلة التمهيد: يكون الانطلاق من أفكار المتعلمين مع ترك المجال للحديث حول المفهوم. (لفظاً، أو كتابة) وبعد ذلك، تصاغ التصوّرات وتبنى المشكلة.

* مرحلة التركيز: العمل في مجموعات متعاونة تتفاوض من أجل تمثل المعنى، وتُقَبَلُ الأفكار دون تمحيص، ثم تناقش لتوسيع المدركات وبنيتها المعرفية.

* مرحلة التحدي: يستعمل الأستاذ الدعائم التعليمية، كالخطيط والخرائط الذهنية، والصور التوضيحية، مع توجيه المتعلمين نحو الأخطاء ومصارحة النفس والتصحيح الذاتي.³⁹

* مرحلة التطبيق: يمد الأستاذ المتعلم ببعض النصائح لاستعمالها في التقويم الذاتي.

المراحل	بطاقة نشاط وفق نموذج التعلم التوليدي
مرحلة الانطلاق	أ) التوجيه : وفيها يمهّد الأستاذ المناخ الدراسي ، ينطلق من مشكلة (ملاحظة، أو مروية، أو مكتوبة لظاهرة ما في محيط المتعلم، ويدعو المتعلمين إلى إبداء ملاحظاتهم، أو يطرح هو أسئلة، بحيث تكون داعية للتفكير. ب) إثارة الخبرات اليومية للمتعلم: وفيها يعرض المعلم بعض الأمور المحيرة والأحداث المتناقضة أو القضايا البيئية أو مواقف حياتية مختلفة ، لإثارة أفكار الطلاب وخبراتهم اليومية عن موضوع الدرس والتي تؤدي إلى شعور الطلاب بالحاجة إلى البحث والتنقيب للوصول للحل ، مع مراعاة أن تكون الأسئلة والأشياء المعروضة عليهم ذات ارتباط بالمعلومات السابقة لديهم .
مرحلة التركيز	- يقوم الأستاذ بتقسيم المتعلمين إلى مجموعات صغيرة غير متجانسة التركيز على المفاهيم المستهدفة أو السلوكيات المراد إكسابها للطلاب ، مع تقديم المصطلحات

العلمية وإتاحة الفرصة للتفاوض والحوار بين المتعلمين. -تقوم كل مجموعة بتفسير الأنشطة وحل الأسئلة الخاصة بها استعدادا لعمل جلسة حوار عامة مع الأستاذ ،	
-إعادة تقديم المصطلحات والتحدي بين ما كان يعرفه المتعلم قبل التعلم وبعده . - الاستفاضة في المناقشة بين جميع الأطراف. - مقارنة بين معرفة وسلوكيات المتعلم قبل الأفكار الجديدة وبعدها .	مرحلة التحدي
-إيجاد تطبيقات مناسبة لما توصلوا إليه من مفاهيم واستنتاجات وحلول في مواقف أخرى مشابهة في الحياة ، - يصبح كل ما تعلمه الطالب جزء من قيمه وسلوكياته التي يتعامل بها مع أفراد مجموعته .	مرحلة التطبيق

- **التعلم التبادلي (التشاركي) Apprentissage mutuel**: هو مجموعة إجراءات تتم داخل الصف الدراسي، ويوصف التعلم التبادلي بالتنبؤي، فهو ينطلق من (ملخص أو نهاية قصة، أو حوار، أو غلاف ...)، أما الحصة التالية فيُصرف النظر إلى مراقبة الفهم والأداء والتقييم.

- مكوناته: لهذا الأسلوب أربع استراتيجيات هي:⁴⁰

* التلخيص: يقرأ المتعلم ملخصا أو فكرة، وبالتشاور مع زملائه، يقوم بطرح أسئلة شاملة أو فرعية، حيث تتصف وتميز بالملاءمة.

* التساؤل: يصوغ المتعلم أسئلة تتعلق بالقطعة، أو الفكرة التي قام بقراءتها، وعمل ملخصا لها وطرح أسئلة على نفسه داخل المجموعة ثم الإجابة عنها.

* التوضيح: يستوضح المتعلم العناصر الفرعية؛ ويعني هذا الإجراءات المتبعة لتحديد ما قد يمثل عائقا في فهم المعلومات المتضمنة في النص، سواء كانت كلمات أو مفاهيم.⁴¹

* التنبؤ: مرحلة يضع فيها المتعلم فروضا أو يصوغ توقعات، لأجل الحل فيمر بعدة محطات منها: تحليل وتصنيف، وترتيب، وتطبيق، ودمج المكتسبات القديمة بالجديدة.

- خطواته: يعتمد هذا الأسلوب على الخطوات التالية:

* الانطلاق من مفهوم محدد يتوافق مع قدرات المتعلم.

* له معنى بالنسبة إليه.

* توزيع بطاقات بها تفرعات شكلية، تحدد نمط المنجز.

* بدأ الحوار التبادلي عن طريق توليد الأفكار.

* التركيز على مرحلة التقويم بطرح أسئلة عن المنجز.

بطاقة نشاط وفق نموذج التعلم التبادلي (التشاركي).	
أهمية هذه الخطوة تتأتى من نمذجة الإستراتيجية التي سيقوم بها المتعلم فيما بعد، يستنفر فيها المتعلم معارفه وخبراته المكتسبة. انطلاقا من سند معين.	المرحلة الأولى مرحلة التمهيد (التهيئة)

يركز فيها المتعلم على الظاهرة، ومناقشة الجماعة، ووضع أسئلة، ومناقشة زملاءه. وتكون وممارستهم تكون موجهة.	المرحلة الثانية (التساؤل)
يكون العمل في مجموعات صغيرة، يتحدث المتعلم عن الخطط الاستراتيجية، حيث يأخذ المتعلم دور القيادة، في طرح الأسئلة ومناقشة الاستراتيجيات، ودور الأستاذ يقتصر على تقديم المساعدة وفق استراتيجيات السقالات.	المرحلة الثالثة (التوضيح)
في هذه الخطوة يصوغ المتعلم الفرضيات، ويتنبأ بالنتائج، ويستمر في تنفيذ المهمة الموكلة إليه، مع بعض الدعم المتدرج في النقصان.	المرحلة الرابعة (التنبؤ)
فيقوم المتعلم بتنفيذ المهمة وفق ما اتفق عليه الجماعة، حيث يكون قد أتقن الخطوات السابقة، وهو الآن لا يحتاج الدعم.	المرحلة الخامسة (التطبيق والتقييم)

ومما سبق فالتعلم التبادلي إجراء تعليمي ينتهج خطة محكمة البناء، ومرنة التطبيق، ويتم من خلالها استخدام كافة الإمكانيات والوسائل المتاحة بطريقة مناسبة، وتضمن التفاعل بين المتعلم والمعرفة.

ونافلة القول إنّ تبني نظرية فيجوتسكي في مناهج الجيل الثاني لتعليم اللغة، ينم عن دراية بالنظريات التربوية الحديثة، التي تركز على مشاركة المتعلم الفاعلة في العملية التعليمية/ التعليمية، وتسعى إلى تنمية الوظائف العقلية العليا للمتعلم عن طريق التفاعلات، والعلاقات بين الأستاذ ومتعلميه أو بين المتعلمين أنفسهم، وإتقان اللغة والحوار والتفكير بصوت عال، واعتبار اللغة الآلية الرمزية المتاحة للتوسط في مجال النشاط الذهني، وبها يمكن أن يوجه انتباه المتعلمين وانتباه الآخرين إلى السمات ذات الأهمية في البيئة الاجتماعية الثقافية، وهذا ما يشجعهم للوصول إلى أقصى ما تسمح به قدراتهم، وقابليتهم الفردية. وبهذا الطرح استطاع فيجوتسكي أن يتجاوز الفردانية في التعلم، ويضع مقاربة جديدة تقوم على التفاعل بين الفرد والمجتمع والثقافة، في الدراسات السلوكية اللغوية الحديثة.

هوامش البحث:

1 - أحمد جابر أحمد السيد: استخدام برنامج قائم على نموذج التعليم البنائي الاجتماعي وأثره على التحصيل وتنمية المهارات الحياتية لدى تلاميذ الصف الخامس، مجلة دراسات في المناهج والطرق التدريسية، مصر، ع 77، عام 2000، ص 25

² - النفساني الروسي ليف فيجوتسكي Lev Vygotsky المولود العام 1896 ببلورسيا، تحصل على شهادة الأدب من جامعة موسكو العام 1917، وعمل في معهد علم النفس بموسكو إلى غاية 1924. حيث اشترك في تطوير البرامج التعليمية في مجال الصم البكم وتعاون مع الباحثة آن يونتيف Ann Leontief من أجل التوصل إلى إيجاد نظرية علمية جديدة تضاف إلى حقل الدراسات النفسية التربوية الروسية. وبالرغم من جدية الطرح الذي قدمه في المجال النفسي، لكنه لم ينل شهرة ولم تأخذ دراسته حضاها في الجامعات الغربية، وهذا لعدة أسباب منها سيطرة النظرية البنائية والنفعية إلى حين ترجمة كتابه اللغة والتفكير العام 1958. وكم كانت حسرة فيجوتسكي كثيرا لعدم التقائه بعلماء البنائية أمثال: (جون بياجيه)، لم يعيش عمرا طويلا بل وافته المنية عن عمر 39 عاما إثر إصابته بمرض (السل) العام 1934. دخل ليف فيجوتسكي مجال البحث في علم النفس لما كلف بتطوير برامج الصم البكم، نظرا لخلو الساحة العلمية وذلك أن بعض الباحثين الذين

- يدرّسون علم نفس الدماغ دخلوا في انقسام مع نظرائهم الذين يهتمون بالأنظمة الحسية (العمليات العقلية). حيث اشتد هذا الانقسام . وبما أن الفرصة سنحت لإظهار كفاءته برهن بنجاح عنها،
- 3 - راشد بن حسين العبد الكريم : النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها ، مكتبة الملك فهد، الرياض، 2011، ص19
- 4 - جوديث جرين: التفكير واللغة ، تر. عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، ص114
- 5 - النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها، ص 130
- 6 - التفكير واللغة، ص20
- 7 - نفسه ، ص20
- 8 - كريتش ديفيد: سيكولوجيا الفرد في المجتمع، تر، حامد عبد العزيز العفن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص220
- 9 - غنيم سيد أحمد : سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1972، ص26
- 10 - جميل حمداوي: الكفايات والوضعيات، منشورات مجلة التربية، ع9، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص53
- 11 - دانيال شاندرلر: أسس السيميائية، تر، طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 304
- 12 - التفكير واللغة، ص211
- 13 - نفسه ، ص212
- 14 - قشطة عبد الحلیم: الجماعات والقيادة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، 1991، ص19
- 15 - جلال شمس الدين: علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ج2، 2003، ص 177
- 16 - عزمي الدوهيري: فعالية التدريس وفقا لنظرية فيجوتسكي في اكتساب المفاهيم البيئية، لدى طلاب جامعة الأقصى، عزة، 2006، ص26
- كريتش ديفيد: سيكولوجيا الفرد في المجتمع، تر، حامد عبد العزيز العفن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974، ص220
- 17 - غنيم سيد أحمد : سيكولوجية الشخصية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1، 1972، ص26
- 17 - جميل حمداوي: الكفايات والوضعيات، منشورات مجلة التربية، ع9، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ص53
- 17 - دانيال شاندرلر: أسس السيميائية، تر، طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص 304
- 17 - التفكير واللغة، ص211
- 17 - نفسه ، ص212
- 17 - قشطة عبد الحلیم: الجماعات والقيادة، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، 1991، ص19
- 17 - جلال شمس الدين: علم اللغة النفسي، مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ج2، 2003، ص 177
- 17 - عزمي الدوهيري: فعالية التدريس وفقا لنظرية فيجوتسكي في اكتساب المفاهيم البيئية، لدى طلاب جامعة الأقصى، عزة، 2006، ص26

¹⁷ - Vygotsky.L.S. Interaction between learning and development M. Lopez. Morillas .Trans In . cole.V.john- steiner .s. Scribner et E. Scribner , et .E, superman , eds, Mind .1978,p86

¹⁸ - الدوهيري : فعالية التدريس وفقا لنظرية فيجوتسكي، ص30

- ¹⁹ - جميلة علي شرف الشهري: فاعلية السقالات التعليمية، جامعة أم القرى، كلية التربية، السعودية، 2015، ص 21
- ²⁰ - نفسه ، ص 23
- ²¹ - Vygotsky. 1978,p134
- ²² - Vygotsky. 1978,p134/135
- ²³ - عزة عبد الفتاح: نمية المفاهيم العلمية والرياضية، دارقبا، القاهرة، 1997، ص 17
- ²⁴ - نفسه، ص 17
- ²⁵ - نفسه، ص 18/17
- ²⁶ - عفانة عزو، وآخرون: التدريس والتعليم بالدماغ ذي الجانبين، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007، ص 237
- ²⁷ - الدوهيري: فاعلية التدريس وفقا لنظرية فيجوتسكي، ص38
- ²⁸ - نفسه، ص39
- ²⁹ - Vygotsky. 1978، ص93
- ³⁰ - ينظر، Vygotsky. 1978، ص40
- ³¹ - Shepard son. Learning science in first grade science Activity .A Vygotskian. Perspective science education. vol.83. 1999.p621
- ³² - فيجوتسكي، نفسه، ص 23/22
- ³³ - نفسه، ص 07
- ³⁴ - كوثر جميل: فاعلية السقالات التعليمية في تنمية التحصيل وبعض مهارات عمليات التعلم، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، جامعة أم القرى، السعودية، م4، ع9، 2015، ص179
- ³⁵ - نفسه، ص 180/179
- ³⁶ - Stone. c .1998, The Metaphor of scaffolding its utility for field of learning disabilities journal of disabilities ,Vol. 31.No.4PP344-364
- ³⁷ - Richard Kathleen (1993). Using Semantic Napping cooperative. and to build Write journal of the Reading teacher .p 449/ 452
- ³⁸ - Brown A .et campion. j (1992) studants as Researchers and teachers in keefe Wilber (eds). Teaching (p49.57). Reston VA National Association of secondary school Principals.
- ³⁹ - ينظر، اتجاهات حديثة لتعليم العلوم في ضوء المعايير العالمية وتنمية التفكير والنظرية البنائية، ص 65
- ⁴⁰ - عبد الباري ماهر شعبان: استراتيجيات فهم المقروء، أسسها النظرية وتطبيقاتها العملية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 174
- ⁴¹ - ينظر، آمال محمد: استراتيجيات التدريس والتعلم، نماذج وتطبيقات، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2010، ص 28